



19 فبراير 2020

قال الله عز وجل: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْعَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ (الزمر: 53)..  
ترغَّب هذه الآية المذنبين في التوبة والاستغفار، وتدعوهم إلى الرجوع إلى الله، وعدم اليأس والقنوط من رحمة الله.

وإن وقوع المسلم في الخطأ والذنب متوقَّع، وليس مستبعدًا؛ لأن الإنسان ضعيف أمام الإغراءات والشهوات، كما قال تعالى: ﴿وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا﴾ (النساء: 28)، ولم يجعل الله العصمة إلا لأنبيائه ورسله - عليهم الصلاة والسلام - فهم الذين حفظهم وصاتهم، وعصمهم من الوقوع في الذنوب أو المعاصي أو الأخطاء؛ لأنهم قدوة لأتباعهم، وبلغونهم شرع الله.

أما غير الأنبياء والمرسلين فهم عرضة للوقوع في الذنوب والمعاصي؛ حتى لو كانوا من كبار العلماء أو قادة الأولياء، أو من السابقين من الصحابة والتابعين!! وهذا دليل ضعف الإنسان وعجزه وقصوره وحاجته إلى الله!!

والفرق بين ذنب الصالح وذنب الطالح أن ذنب الطالح المفرط المقصّر يكون بقصد وتعمُّد وتوجُّه وتصميم؛ فهو يفكر فيه ويبحث عنه ويطلبه ويخطط له، ويتفاعل معه، ويرتكبه برضى وقبول، في الوقت الذي يكره فيه العبادة والطاعة والفضيلة والعفة.. أما الصالح التقي فإنه يجاهد نفسه لعدم الوقوع في الذنب، ويأخذ بها نحو العبادة والعمل الصالح، ويحدّر المعاصي والذنوب.. ومع ذلك قد يضعف ويغفل، فيقع في الذنب، ويكون هذا بدون قصد أو تعمُّد.. ثم إنه سرعان ما يصحو ويتذكر، فيعرف خطأه، ويعترف بذنبه، ويسارع إلى التوبة والاستغفار، وعلى هذا قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُنْتَبِهُونَ﴾ (الأعراف: 201).

وإن الله عليم حكيم، خلق الإنسان بهذا الضعف؛ ولذلك يدعو إلى سرعة الرجوع إليه، وعدم الارتكاس في المعصية، والركون إلى الذنب، والقنوط من رحمة الله.

ينادي الله عباده المقصرين الذين أسرفوا على أنفسهم بالمعاصي ويرغِّبهم في التوبة، ويحثهم على الاستغفار، ويتحب إليهم سبحانه فائلاً: يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم، لا تقنطوا من رحمتي، ولا تيأسوا من مغفرتي، واحذروا أن يخدعكم الشيطان، وإياكم أن تيأسوا من فضلي.. هلمُّوا وتعالوا إليَّ، وأقبلوا عليَّ، وأنا أقبلكم وأغفر لكم كل ذنوبكم ومعاصيكم؛ لأنِّي أغفر الذنوب جميعًا.

أرايتم هذا الترغيب من الله لعباده في التوبة والاستغفار؟! وهذا التحب من الله لهم!! وهذه الفرصة الجديدة التي يتيحها.. وكم يخسر الذين لا ينتهزون الفرصة ويرفضون التوبة!!